مدروس بكل عناية. فهذه الدروس موجهة بهدف تعزيز الاعتقاد بـ«أرض ــ اسرائيل» اليهودية أساساً: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. بل ان كتاب التدريس للمبتدئين لا ترد فيه على الاطلاق كلمة «عرب» باللغة العبرية. وعوضاً عن ذلك يقوم المنهج بتلقين المهاجرين الجدد تسمية مدينة نابلس الفلسطينية باسمها التوراتي القديم «شيحيم»، والاشارة إلى الضفة الغربية على أنها «اليهودية» و«السامرة».

بمثل هذه المعلومات التي يتلقاها المهاجرون الجدد، يصبح معظمهم من النوع الذي يفسر كل المواقف الفلسطينية باعتبارها «معادية للسامية»، وتصبح كل الاجراءات القمعية الاسرائيلية مبررة تماماً في نظرهم باعتبارها «ضرورات أمنيّة». ونذكر، في هذا المقام، أن الحكومة الاسرائيلية، حين قامت منذ بضعة أعوام بتوطين مهاجرين من جنوب افريقيا في أراض زراعية عربية صودرت حديثاً في الجليل [شمال فلسطين]، في سبيل تحقيق تفوق عددي يهودي على الأكثرية الفلسطينية البسيطة (٥١٪) في هذه المنطقة، شرح العديد من الوافدين الجدد أسباب علاقاتهم المتوترة بجيرانهم الفلسطينيين، بتأكيد استحالة التعايش بين اليهود و«الأغراب» (Gentiles). بل ان الحماقة التاريخية قادت المهاجرين الجدد إلى أماكن أسوأ. فعندما قامت حكومة الليكود بانشاء مجموعات سكنية فوق أنقاض دير ياسين(*) احتدمت المشاعر في اسرائيل إلى درجة أن السيد تيدي كوليك رئيس بلدية القدس أعلن مقاطعته للحفل الذي أقيم بمناسبة بدء عمليات التأسيس. ولترويج هذه الأبنية أعيدت تسمية البلدة بـ«هارنوف»، ونشرت عنها الاعلانات في الخارج باعتبارها منشآت جديدة تماماً وتتوافر فيها كل الميزات الجذابة، وأنها مخصصة برمتها للمهاجرين المقرر وصولهم من البلاد الأنغلو ــ سكسونية.

وننتقل إلى صعيد آخر، فبينما تسعى الوكالة اليهودية إلى غربلة طالبي الهجرة من بلدان الغرب، بدافع الحرص على عدم إدخال «غير المرغوبين»، كالماويين ومدمني المخدرات والمنحرفين جنسياً والذين هم في كنف الطرف اليهودي «الخطأ» من الأبوين، فإن هذه الوكالة تفتح الباب على مصراعيه أمام المهاجرين السوفيات بعجرهم وبجرهم. فهؤلاء يتمتعون بالخلفية نفسها التي تتمتع بها قيادة اسرائيل الشرق ــ أوروبية، ولهذا يُنظر إليهم باعتبارهم غير مؤهلين للعيوب والمثالب المنسوبة إلى يهود الغرب. على أن السلطات الاسرائيلية تقدم بالفعل تسهيلات متباينة لليهود الوافدين من روسيا الأوروبية ولأولئك القادمين من جمهوريات آسيا السوفياتية. فالفريق الأخير من اليهود يأتي أساساً من جورجيا وبخارى، وهم، حسب التعريف الشائع، يهود شرقيون، فيرسلون في العادة إلى المدن الجديدة المأهولة بيهود العراق وشمال أفريقيا. أما اليهود السوفيات الناقصو الأهلية اليهودية وفق الشريعة اليهودية، إذا كانوا مولودين من أمهات غير يهوديات، فلكي يكتسبوا الحق في الجنسية والمواطنية، لا بد لهم من الخضوع لعملية اعتناق جديدة لليهودية وفق المذهب الأرثوذكسي، الذي يتضمن ــ فيما يخص الذكور ــ عملية ختان مؤلمة وفق الطقوس السارية.

وفيما يأتي «خلاص اليهود السوفيات» في رأس أولويات العمل لرجال السياسة

(*) القرية الفلسطينية التي قتل فيها بيغن وجماعته من الأرغون ٢٥٤ مدنياً فلسطينياً في عام ١٩٤٧.